



العيد في فلسطين له طعم آخر.. من تراث الشهيد عبدالعزيز الرنتيسي



الجمعة 17 أبريل 2020 م

في ذكرى استشهاده

ما إن فرغنا من صلاة العيد حيث استمعنا إلى خطبة تحضّ على الجهاد والاستشهاد، وتدعوا إلى رص الصفووف في مواجهة العدو الصهيوني، والاعتصام بحبل الله جمِيعاً، والتمسك بالوحدة الوطنية في خندق المقاومة، وعدم الالتفات لأصحاب الدعوات المنهزمة الذين شغلتهم مصالحهم الشخصية عن الحقوق الوطنية المشروعة، فقدّموا ذاتهم على المصلحة الوطنية العليا.

ولم ينس خطيبنا توجيه إدانة قوية إلى ما يسمى بوثيقة سويسرا أو وثيقة جنيف المتهافتة الرخيصة، كما لم ينس الإشادة بما قام به أبناء الشعب الفلسطيني من تبرعات سخية بلغت مئات الآلاف من الدولارات لصالح الأيتام والأرامل والثكالي في حملة عظيمة نظمتها المؤسسات الخيرية الإسلامية حماية لشرايين واسعة من أبناء الشعب الفلسطيني من غول الفقر خاصة ونحن على أعتاب عيد الفطر المبارك بعدها أقدمت السلطة الفلسطينية على خطوة مستنكرة غير مبررة ومستهجنة تمثلت بتجميد أرصدة المؤسسات الخيرية الإسلامية التي لعبت دوراً أساسياً و هاماً في تضميد الشعب الفلسطيني على مدى أعوام الانتفاضة العجاف، وللأسف الشديد أن السلطة لم تقدم على هذه الخطوة إلا استجابة لرغبة العدو الصهيوني، وتلبية لإملاءات الحقد الأمريكي بهدف المس بصمود الشعب المنتفض، وتقويض جماهيرية الحركة الإسلامية المجاهدة التي نذرت نفسها لخدمة القضية والشعب..

أقول ما إن فرغنا من الصلاة حتى أخذ المصطليون يصافح بعضهم بعضاً في مشهد إسلامي رائع، تغمّرهم مشاعر الحب والأدفوا في الله، ثم انطلقت جموع المصليين في مسيرات عظيمة يطوفون على بيوت الشهداء والمصابين والمعتقلين قبل أن يفكّر أحددهم في زيارة أقاربه ورحمه، إنه الوفاء لأولئك الأبطال الذين ضحّوا بأرواحهم، أو بصحتهم، أو بحرি�تهم من أجل فلسطين، ومن أجل شعب فلسطين، بل دفاعاً عن كرامة الأمة، ودفعاً عن ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها الواعد.

ومما يستتبع الانتباه أن الآلاف الأطفال في سن الزهور بعد أن أدوا الصلاة انطلقوا يمرحون في الشوارع انتهاءً بالعيد فرحين سعداء ، نسبة كبيرة منهم هم من أبناء الشهداء، لم يجد عليهم أثر من الحزن أو الكآبة ، كانوا لم يفتقدو آباءهم من قبل أو يفقدوا حاناتهم في العيد، كم كان الأمر غريباً ومذهلاً، ولكن من رأى يوماً أعراس الشهداء لا يعجب من هذا الأمر، فأطفال الشهداء في فلسطين يشعرون بالفخر والاعتزاز أنهم أبناء الشهداء، وهذا الشعور الغامر يكفي لمسح الهموم والآسى الذي قد يجد طريقه إلى قلوبهم، ناهيك مما يلقونه من حبٍ وتقدير من كافة أبناء الشعب في فلسطين، وهذا كفيل بأن يبعد عن أحدهم شبح الشعور بمارارة اليتم أو جوى الدرمان..

إن القهر والظلم والحداد الذي يحيط بشعبنا المرابط في فلسطين لم يدخل دون أن يمرج ويلهو أبناء الشهداء في العيد، إن ما قام به اليهود من إرهاب تمثّل في حصد أرواح الآلاف من أبناء شعب فلسطين لم ينجح في سرقة البسمة من شفاه أبناء ضحايا الإفساد والإرهاب اليهودي، لم يكن ذلك لأننا نعيش الموت، فنحن نحب الحياة في الوقت الذي لا نخشى فيه الموت في سبيل الله، ولكن هناك ما هو أصعب على النفس من وقع الحسام المهند، وهي الحياة المنغمسة في الذلّ، فنفوس الأحرار الأباء في فلسطين تستنكف أن تعيش مسلوبة الكرامة في ظلّ الاحتلال الصهيوني للشعب وللوطن ، و من هنا فإننا نشعر أن ما نحن فيه من جهاد ما هو إلا وسام شرف يزيّن جبين كل طفل و شاب وشيخ و امرأة في فلسطين، كما أنها نشعر أن فضل الله يغمرنا و نعمته قد أسبغها علينا وقد أضاف علينا من معين حبه الذي لا ينضب وهو القائل سبطانه (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُوهُمْ بُطْيَانٌ مَرْضُوضٌ) (الصف:4)، كما أنها نؤمن أن المعاناة التي نعيش هي السبيل الوحيد لتحقيق النصر والتمكين واسترداد ما اغتصب من حقوق وطنية.

فلا غرابة أن ترى في فلسطين الدموع وقد امتزجت بالزغاريـد، ولا عجب أن تلمس هنا أن الشعور بالكـبرـاء قد استعلـى على الإحساس بالمرارة والـأـلم، فمن يرى الفرحة التي تعمـ الشـارـعـ الفلـسـطـينـيـ صـيـحةـ العـيـدـ اـبـتهاـجـ بـقـدوـمهـ لـيـمـكـنـ أـنـ يـخـطـرـ بـيـالـهـ أـنـاـ الشـعـبـ الـذـيـ يـشـيعـ الشـهـادـهـ فـيـ كـلـ يـوـمـ زـرـافـاتـ وـحـدـائـاـ، ولا يـمـكـنـ أـنـ يـصـدـقـ أـنـ فـيـ كـلـ بـيـتـ مـأـسـاةـ تـأـذـ بـتـلـابـيـبـ الـقـلـوبـ فـكـمـ مـنـ بـيـتـ غـابـ عـنـهـ مـحـيـاـ الـوـالـدـ وـقـدـ اـحـتوـشـهـ الثـرـىـ فـتـرـكـ مـنـ خـلـفـهـ أـرـملـةـ، وـزـغـبـاـ مـنـ الـأـيـتـامـ.

فـلاـ يـكـادـ يـخـلـوـ بـيـتـ فـيـ فـلـسـطـينـ مـنـ وـالـدـ أوـ وـلـدـ أوـ أـخـ أوـ أـخـتـ أوـ أـمـ قـدـ غـيـبـ عـنـ الـوـجـودـ بـفـعـلـ الـوـحـشـ الـيـهـوـدـيـ الصـهـيـونـيـ الـجـرمـ، أوـ مـعـتـقـلـ أـمـضـيـ حـيـاتـهـ خـلـفـ الـقـضـيـانـ الصـهـيـونـيـ الـقـاسـيـةـ، أوـ مـعـوـقـ كـانـ يـرـفـلـ يـوـمـاـ بـالـصـحـةـ وـالـعـافـيـةـ يـجـوـبـ الـبـلـادـ طـوـلـاـ وـعـرـضاـ فـيـ حـيـوـيـةـ وـنـشـاطـ، وـلـكـنـهـ فـيـ غـمـرـةـ حـقـدـ أـسـوـدـ أـمـسـىـ بـلـ سـاقـ تـحـمـلـهـ، أـوـ ذـرـاعـ تـعـيـنـهـ عـلـىـ خـدـمـةـ نـفـسـهـ، أـوـ بـاتـ مـكـفـوفـ الـبـصـرـ، أـوـ مـشـلـوـلـاـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ حـرـاـكـاـ، نـاهـيـكـ عـنـ آـلـافـ الـأـسـرـ الـتـيـ تـبـيـتـ عـلـىـ الطـوـىـ لـاـ تـجـدـ مـاـ تـسـكـنـ بـهـ عـضـةـ الـجـوـعـ، وـلـاـ يـكـادـ يـخـلـوـ بـيـتـ فـيـ فـلـسـطـينـ مـنـ مـرـارـةـ الـحـرـمـانـ مـنـ رـؤـيـةـ عـزـيزـ يـتـقلـبـ عـلـىـ الـجـمـرـ فـيـ الـمـنـافـيـ مـنـذـ عـشـرـاتـ السـنـينـ بـفـعـلـ الـوـحـشـ الـيـهـوـدـيـ الـجـرمـ.

هـكـذـاـ هـوـ الـحـالـ فـيـ فـلـسـطـينـ فـيـ كـلـ بـيـتـ مـأـسـاةـ وـفـيـ كـلـ زـاوـيـةـ كـارـثـةـ أـوـ مـصـيـبةـ هـذـاـ مـاـ فـعـلـهـ الـأـشـارـارـ مـنـ الصـهـايـرـ الـيـهـودـ الـذـيـنـ اـقـتـلـعـواـ شـعـبـنـاـ مـنـ وـطـنـهـ بـقـوـةـ السـلـالـجـ، وـلـمـ يـكـنـ إـلـاـ شـعـبـاـ أـعـزـلـ لـاـ يـمـلـكـ مـاـ يـدـفـعـ بـهـ الـأـذـىـ عـنـ نـفـسـهـ أـوـ يـحمـيـ بـهـ الـوـطـنـ، وـقـدـ اـرـتـكـبـ الـإـرـهـاـبـيـوـنـ الصـهـايـرـيـةـ أـبـشـعـ الـمـجاـزـ بـحـقـهـ، وـالـتـيـ أـوـدـتـ بـحـيـةـ عـشـرـاتـ الـتـالـافـ مـنـ أـطـفـالـنـاـ وـنسـائـنـاـ وـشـبـابـنـاـ وـشـيـوخـنـاـ، وـأـدـدـتـ إـلـىـ تـشـرـيدـ الـمـلـاـيـنـ مـنـ أـهـلـنـاـ أـصـحـابـ الـأـرـضـ الـشـرـعـيـنـ مـنـ وـطـنـهـمـ لـيـعـيـشـوـاـ الـمـرـارـةـ وـالـحـرـمـانـ عـلـىـ مـدـىـ مـاـ يـزـيدـ عـنـ سـتـةـ وـخـمـسـيـنـ عـامـاـ.

هـذـهـ هـيـ مـعـالـمـ الـعـيـدـ فـيـ فـلـسـطـينـ.. فـكـلـ التـحـيـةـ وـالتـقـدـيرـ لـشـعـبـنـاـ الـمـرـابـطـ عـلـىـ ثـرـىـ الـوـطـنـ أـوـ عـلـىـ حـدـودـهـ، وـكـلـ التـحـيـةـ لـأـرـوـاجـ الشـهـادـهـ، وـلـمـعـتـقـلـينـ الـبـوـاـسـلـ، وـلـمـصـابـيـنـ الصـابـرـيـنـ عـلـىـ الـجـرـاجـ، وـأـعـظـمـ تـحـيـةـ لـلـوـطـنـ تـغـمـرـهـ مـنـ بـحـرـهـ إـلـىـ نـهـرـهـ.. وـكـلـ عـامـ وـأـمـتـنـاـ بـخـيرـ.

